

جامعة المولى اسماعيل مكناس

الكلية المتعددة التخصصات الرشيدية

شعبة اللغة العربية – مسلك الدراسات العربية

■ مادة : الشعر العربي القديم

■ الأستاذ : د. عبد الله صغيري

■ الفصل الثاني

■ المحور الرابع : الغناء في الشعر العربي القديم

الغناء في الشعر العربي القديم

عناصر الموضوع :

- مقدمة
- المعنى اللغوي
- المعنى الاصطلاحي
- ارتباط الشعر العربي بالغناء
- تأثير غناء الشعر في المتلقي
- خاتمة

الغناء في الشعر العربي القديم

مقدمة :

■ لقد امتاز الشعر العربي بسمتين أساسيتين كبيرتين هما : الإيقاع والتخييل . و الإيقاع ليس مقصودا لذاته في الشعر فقط ، بقدر ما هو الصيغة التي تؤهل النص الشعري إلى أن يؤدي أداء غنائيا ، من خلال ما يتشكل به الإيقاع الشعري من وزن وقافية وروي . هذه المكونات هي ما يجعل الشعر العربي شعرا موسيقيا .

الغناء في الشعر العربي القديم

1- المعنى اللغوي :

■ أصل الغناء في العربية صوت. قال ابن فارس: " غني الغين والنون والحرف المعتل أصلان صحيحان، أحدهما يدلُّ على الكفاية، والآخر صوت. فالأوّل الغنى في المال، والأصل الآخر: الغِنَاء من الصَّوْت".

معجم مقاييس اللغة: غني

■ وقد ذهب المفسرون المذهبين معا في تفسير الغناء المقصود بقول النبي عليه السلام: (ليس منا من لم يتغن بالقرآن)

صحیح البخاری. کتاب فضائل القرآن. رقم الحديث: 3352.

الغناء في الشعر العربي القديم

1- المعنى اللغوي :

■ وقوله عليه السلام: (ما أذِنَ اللهُ لشيءٍ كإذنه لنبي يتَغَنَّى بالقرآنٍ يَجْهَرُ به)
نفسه رقم الحديث: 4635

■ قال أبو العباس: الذي حَصَلْنَاه من حُفَاطِ اللُّغَةِ في قوله: كَأَذْنِهِ لِنَبِيِّ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ، أَنَّهُ عَلَى مَعْنَيَيْنِ: عَلَى الاسْتِغْنَاءِ، وَعَلَى التَّطْرِيبِ".

لسان

العرب: غنا.

الغناء في الشعر العربي القديم

1- المعنى اللغوي :

■ وما دام المعنيان معا يمتحان من المادة اللغوية نفسها ، فإن بين المعنيين (الغنى والصوت) معنى جامع بينهما . حيث إن الطرب الذي يقع للمتلقي بسبب الغناء ، يولد نوعا من الإشباع النفسي يتحقق به الاكتفاء والاستغناء . إن الغناء بما هو أداء صوتي قائم على الإلقاء في قالب لحنى ملائم ، لما تستغني به النفس فتستجيب لرسالة الفن .

الغناء في الشعر العربي القديم

2- المعنى الاصطلاحي :

- وظاهر الغناء رفع الصوت، أما مقصوده فهو التطريب: "قال الأزهري: وكلُّ مَنْ رَفَعَ صَوْتَهُ وَوَالَاهُ فَصَوْتُهُ عند العرب غِنَاءٌ... والغناءُ من الصَّوْتِ: ما طُرِبَ به" لسان العرب: غنا.
- وقال الفيروزبادي: "والغِنَاءُ من الصَّوْتِ: ما طُرِبَ به" القاموس المحيط: غني.
- وينتبه ابن منظور إلى ضرورة التلحين قبل الغناء لأي غرض من أغراض الشعر: "وعندي أَنَّ الغَزَلَ والمدْحَ والهَجَاءَ إنما يقال في كل واحدٍ منها غَنَيْتَ وَتَغَنَيْتَ، بعد أن يُلْحَنَ فَيُغَنَى به." لسان العرب: غنا.

الغناء في الشعر العربي القديم

2- المعنى الاصطلاحي :

■ نستفيد مما سبق أن :

الغناء هو الشعر الملحن داخل الإيقاع.
وشرطه تحصيل الطرب .

واللحن ما به يصير الشعر غناء . قال أبو حيان التوحيدي:
"يقال ما الغناء؟ الجواب: شعر ملحن، داخل الإيقاع والنغم
الوترية، منعطفة على طبيعة واحدة يرجع سالكه إليها".

المقابلة: 285.

الغناء في الشعر العربي القديم

3- ارتباط الشعر العربي بالغناء :

■ يقول ابن خلدون : "وأما العرب فكان لهم أولا فن الشعر يؤلفون فيه الكلام أجزاء متساوية على تناسب بينها في عدة حروفها المتحركة والساكنة ، ويفصلون الكلام في تلك الأجزاء تفصيلا ويكون كل منها مستقلا بالإفادة لا ينعطف عن الآخر ويسمونه البيت . وهذا التناسق الذي من أجل الأجزاء والمتحرك والساكن من الحروف قطرة من بحر من تناسب الأصوات كما هو معروف في كتب الموسيقى "

مقدمة ابن خلدون ص: 476

الغناء في الشعر العربي القديم

3- ارتباط الشعر العربي بالغناء :

■ يرجع ابن خلدون الاستعداد الطبيعي لغناء الشعر إلى طبيعة الشعر نفسه . فليس كل كلام يناسبه أن يغنى .. بل بد من توفر خصائص في تأليف الكلام من شأنها أن ترشحه كي يُغنى .. من ذلك تركيب الكلام من أجزاء متساوية متناسبة من حيث الحروف الساكنة والمتحركة . ومن أجزاء متناسقة ، الشيء الذي ينتج تناسب الأصواب مما يفرضه الأداء الموسيقي .

الغناء في الشعر العربي القديم

3- ارتباط الشعر العربي بالغناء :

- يقول المرزباني : "كانت العرب تغني النصب وتمد أصواتها بالنشيد وتزن الشعر بالغناء"
والنصب نوع من الإيقاع .
- قال حسان بن ثابت :
تغن في كل شعرا أنت قائله إن الغناء لهذا الشعر مضمار
يميز مكفأه عنه ويعزله كما تميز خبيث الفضة النار الموشح ، ص: 39
- إن طبيعة الشعر الإنشاد ، وإطاره الطبيعي هو الإنشاد .
فإذا غاب عنه الإيقاع فقد ما به يُغنى ، فكأنه فقد طبيعته.

الغناء في الشعر العربي القديم

3- ارتباط الشعر العربي بالغناء :

■ ويستمر ابن خلدون في رصد الصلة الوثيقة للشعر بالغناء في صدر الإسلام حين يقول :

"وكان الغناء في الصدر الأول من الإسلام من أجزاء هذا الفن لما هو تابع للأدب . إذ الغناء إنما هو تلحين . وكان الكتاب والفضلاء من الخوارج في الدولة العباسية يأخذون أنفسهم به حرصا على تحصيل أساليب الشعر وفنونه . فلم يكن انتحاله قادحا في العدالة والمروءة . وقد ألف القاضي أبو الفرج الأصبهاني وهو من هو كتابه في الأغاني " المقدمة ، ص: 647

الغناء في الشعر العربي القديم

3- ارتباط الشعر العربي بالغناء :

- ويرتبط حسن الشعر في الأغاني بعنصر اللحن والغناء: و مما ورد في الأغاني : " فقال محمد: إن أحسن الشعر ما دام الإنسان يشرب ما كان مكسوا لحنا حسنا تغني به منوسة وأشباهها . فإن كسيت شعرك من الألحان مثل ما غنت قبله طاب . " الأغانى : 23/195
- واللحن ما به يصير الشعر غناء. " يقال ما الغناء؟ الجواب: شعر ملحن، داخل الإيقاع والنغم الوترية، منعطفة على طبيعة واحدة يرجع سالكه إليها". المقابسات: 285.

الغناء في الشعر العربي القديم

4- تأثير غناء الشعر في المتلقي :

- تغن ابن سريج مرة في حفل من المحافل بشعر كثير عزة :
أمنقطع يا عزُّما كان بيننا
وشارجني يا عز فيه الشواجر
إذا قيل هذا بيت عزة قادمي
إليه الهوى واستعجلتني البوادر
أصدوبي مثل الجنود لكي ترى
رواة الخنا أني لبيتك هاجر

الغناء في الشعر العربي القديم

4 - تأثير غناء الشعر في المتلقي :

■ فكأن القوم قد نزل عليهم السبات ، وأدركهم الغشى فكانوا كالأموات . ثم أصغوا إليه بأذانهم وطالت أعناقهم ثم غن هو والغليظ جميعا بلحن واحد . فيقول من حضر مجلسهما :
فلقد خيل إلي أن الأرض تميد بي " الأغانى الجزء 7 ص : 140

■ وواضح أن أبيات كثير التي تنضح بعاطفة جياشة ازاء عزة وذكرى منزلها الذي ظل كثيرُ يهفو إلى هواه ، وتذكره لما كان بينهما من وصل وما آل إليه من هجر وانقطاع،

الغناء في الشعر العربي القديم

4- تأثير غناء الشعر في المتلقي :

- كل ذلك سيعمق تأثير الغناء لدى المتلقي . وإذا استحضرننا أيضا إيقاع البحر الطويل الذي بُنيت عليه القصيدة ، وما يتيحُه من نفس رائق ، نتيبن تفاعل العناصر التي تجعل غناء الشعر عذبا أكثر . وهو ما مكن ابن سريج أن يرتقي بمتلقيه إلى المستوى الذي ارتقاه حتى خيل إليهم أن الأرض تميد بهم من فرط الدوار الذي أحدثه فيهم ذلك الشعر المغنى .

الغناء في الشعر العربي القديم

4- تأثير غناء الشعر في المتلقي :

- وقد سمع الشاعرُ عديُّ بنُ الرقاع ابنَ سريج يغني في مجلس الخليفة الوليد بن عبد الملك الأموي ، فإذا سئل عن يغني ف قيل له إنه ابن سريج . قال : لا والله ما سمعته قط ولا سمعت مثله حسنا ، ولولا أني في مجلس أمير المؤمنين لقلت طائفة من الجن يتغنون "
نفسه ج 8 ص 176
- وهذا الغناء كله على إيقاع أوزان محكمة التقسيم مضبوطة الوحدات مفصلة الأجزاء.

الغناء في الشعر العربي القديم

4- تأثير غناء الشعر في المتلقي :

- وكان ابراهيم الموصلي يقول : غناء كل مغن مخلوق من قلب رجل واحد ، وغناء ابن سريج مخلوق من قلوب الناس جميعا " الأغانى ج 1 ص : 96
- يروي صاحب الأغانى في وصف مجلس من مجالس المغنية جميلة قائلا " اجتمع الناس في بيت جميلة ، فضربت ستارة وأجلست الجوارى كلهن فضربن وضربت على خمسين وترا ، فتزلزلت الدار ، ثم غنت على عودها وهن يضربن على ضربها بهذا الشعر :

الغناء في الشعر العربي القديم

4- تأثير غناء الشعر في المتلقي :

من الخفريات البيض لم تر غلظة
وفي الحسب الضخم الرفيع نجارها
فما روضة بالحزن طيبة الثرى
يمج الندى جثجاثها وعرارها
بأطيب من فيها إذا جئت طارقا
وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها
فدمعت أعين كثير منهم ، حتى بل ثوبه ، وتنفس الصعداء .

الغناء في الشعر العربي القديم

4- تأثير غناء الشعر في المتلقي :

■ لقد اعتنى أبو الفرج الأصبهاني بوصف طقوس حفل الغناء ، ففي طقوس مسؤولة عن درجة التجاوب والتفاعل ثم التأثير . ومن أهم العناصر المؤثرة لحفل الغناء : شخصية المغني وشهرته ، الاجتماع الخاص ، إقامة مجلس للغناء ، الجواري اللواتي يشكلن فريق العمل أو "الجوق" بلغة اليوم ، بالإضافة إلى الأدوات والوسائل من عود المغنية جميلة وأوتار الجواري ..

الغناء في الشعر العربي القديم

4- تأثير غناء الشعر في المتلقي :

■ أضف إلى ذلك طريقة الغناء القائمة على انسجام وتكامل بين المغنية وطاقمها . حيث تتبع الجواري لغناء جميلة وترديدهن وغنائهن على غنائها ... بصورة يتخيل معها حضور السهرة أن فناء البيت يتزلزل شعرا وموسيقى . إنها شروط لازمة لتأثير فضاء موسيقى الشعر . فضاء يحتضن غناء من التأثير بمكان . وهو تأثير لا تقاومه الدموع المنهمرة .. تأثير عميق يتولد عنه من التنفيس ما يتخلص به المتلقي من كدر وضجر .. فيتنفس الصعداء .

الغناء في الشعر العربي القديم

4- تأثير غناء الشعر في المتلقي :

- وكان عبد الله بن جعفر ذات يوم ضيف شرف بمجلس غناء جميلة وهي تغني مع جواربها :
بني شيبه الحمد الذي كان وجهه
يضئ ظلام الليل كالقمر البدر
فقال عبد الله بن جعفر : " ما ظننت أن مثل هذا يكون . وإنه
لما يفتن القلب " الأغانى ج 7 ص 137
وهي شهادة أخرى على ما يخلفه الغناء من افتتان القلب . ولا
افتتان للقلب إلا إذا هزه الجمال هذا .

الغناء في الشعر العربي القديم

4- تأثير غناء الشعر في المتلقي :

- وقد جبلت النفس على حب الغناء والترنم به؛ حتى لقد بلغ التأثير به درجات يفقد معها السيطرة على إرادته. ونسوق هاهنا هذا الخبر من الأغاني:
" اصطحب شيخ وشباب في سفينة من الكوفة فقال بعض الشباب للشيخ: إن معنا قينة لنا، ونحن نجلك ونحب أن نسمع غناءها. قال: الله المستعان. فأنا أرقى على الأطلال، وشأنكم فغنت :

الغناء في الشعر العربي القديم

4- تأثير غناء الشعر في المتلقي :

حتى إذا أصبح بدا ضوءه وغارت الجوزاء والمرزم
أقبلت والوطء خفي كما ينساب من مكمته الأرقم

■ قال فألقى الشيخ بنفسه في الفرات، وجعل يخبط بيديه
ويقول : أنا الأرقم أنا الأرقم . فأدركوه وقد كاد يغرق. فقالوا:
ما صنعت بنفسك ؟ فقال: إني والله أعلم من معاني الشعر
ما لا تعلمون" .

الغناء في الشعر العربي القديم

■ **خاتمة :** إن إقامة هذه العلاقة التكاملية بين الشعروين الغناء، ليس المقصود بها فقط إثارة الانتباه إلى البعد الغنائي الموسيقي في الشعر، بقدر ما هو النص على القصد الإفهامي الذي يحقق القبول في الشعر كما يحقق الإطراب في الغناء .

إن التخيل عنصر لازم لشعرية الشعرو وهو الذي يحقق تعلق المتلقي بالمادة الشعرية آنذاك يكمل الغناء القائم على الإيقاع واللحن مسؤولية الإمساك بتلابيب المستمع ، فتتجلى حينها رسالة الفن في أبعث حُللها .